الفصل الثانى

ردود على شبهات وأكاذيب وحيد حامد

عدد كبير من الشبهات والتهم ألقاها وحيد حامد جزافًا على الإخوان فى مسلسله الفاشل.. العجيب أن المؤلف (المدقق) لم يكلف نفسه بالنظر فى أدبيات الإخوان، وخصوصًا تراث البنا؛ للوقوف على حقيقة هذه القضايا عندهم، كما لم يكلف نفسه بالرجوع إلى المعاصرين منهم للاستفسار عن حقيقة هذه التهم؛ لو افترضنا أنه يجهل واقعهم البرىء -كل البراءة- من هذه الشبهات..

من المؤكد أن وحيد فعل ذلك عامدًا متعمدًا؛ لغرض فى نفسه.. ونحن لن نجتهد من جانبنا فى جداله أو الرد عليه.. ولكن نترك المجال لأقوال البنا نفسه، التى كتبها منذ ما يزيد على ٧٠ عامًا للرد عليه، وهى بذلك تعد شاهدًا على هذا الرجل الذى فعل فعلا خطيرًا؛ ذلك أنه ترك الشىء الصادق الطيب، وتناول الكاذب الخبيث، فحق أن يوصم مسلسله بالفشل، وأن يوصم هو بالخداع والتدليس..

وفيما يلى رد على هذه الشبهات..

الجماعة | الإخوان ليسوا دعاة كسل أو دروشة(*)

يخطئ من يظن أن جماعة الإخوان المسلمين جماعة دراويش، قد حصروا أنفسهم فى دائرة ضيقة من العبادات الإسلامية، كل همهم صلاة وصوم وذكر وتسبيح، فالمسلمون الأولون لم يعرفوا الإسلام بهذه الصورة، ولم يؤمنوا به على هذا النحو، ولكنهم آمنوا به عقيدة وعبادة، ووطنًا وجنسية، وخلقًا ومادة، وثقافة وقانونًا، وسماحة وقوة، واعتقدوه نظامًا كاملا يفرض نفسه على كل مظاهر الحياة وينظم أمر الدنيا كما ينظم أمر الآخرة..

اعتقدوه نظامًا عمليًا وروحيًا معًا، فهو عندهم: دين ودولة، ومصحف وسيف.. وهم مع هذا لا يهملون أمر عبادتهم ولا يقصرون فى أداء فرائضهم لربهم، يحاولون إحسان الصلاة ويتلون كتاب الله، ويذكرون الله تبارك وتعالى على النحو الذى أمر به وفى الحدود التى وضعها لهم، فى غير غلو ولا سرف، فلا تنطع ولا تعمق، وهم مع هذا يأخذون من دنياهم بالنصيب الذى لا يضر بآخرتهم.

(*) هذه الشبهة أثارها المؤلف فى الحلقات: الثالثة، السادسة عشرة، السابعة عشرة، الثامنة عشرة، مدعيًا -على لسان ممثليه- أن الإخوان أهل دروشة وكسل.

ويخطئ من يظن أن الإخوان المسلمين دعاة كسل أو إهمال، فالإخوان يعلنون فى كل أوقاتهم أن المسلم لا بد أن يكون إمامًا فى كل شىء، ولا يرضون بغير القيادة والعمل والجهاد والسبق فى كل شىء: فى العلم وفى القوة وفى الصحة وفى المال. والتأخر فى أى ناحية من النواحى ضار بفكرتنا مخالف لتعاليم ديننا، ونحن مع هذا ننكر على الناس هذه المادية الجارفة التى تجعلهم يريدون أن يعيشوا لأنفسهم فقط، وأن ينصرفوا بمواهبهم وأوقاتهم وجهودهم إلى الأنانية الشخصية، فلا يعمل أحدهم لغيره شيئًا ولا يعنى من أمر أمته بشىء، والنبى ﷺ يقول: «**من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم**»[1].

●●●

(١) مجموعة الرسائل.

الجماعة | الإخوان لا يمدون أيديهم لأحد(*)

ألا فليعلم الجميع أن دعوة الإخوان هى أعف الدعوات، وأن جماعتهم هى أشرف الجماعات، وأن مواردهم من جيوبهم لا من جيوب غيرهم، ونفقات دعوتهم من قوت أولادهم ومخصصات بيوتهم، وأن أحدًا من الناس أو هيئة من الهيئات أو حكومة من الحكومات أو دولة من الدول، لا تستطيع أن تجد لها فى ذلك منة عليهم، وما ذلك بكثير على دعوة أقل ما يُطلب من أهلها: النفس والمال ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١](١)، وقد قبل الإخوان البيع وقدموا البضاعة عن رضا وطيب نفس، معتقدين أن الفضل كله لله، فاستغنوا بما فى أيديهم عما فى أيدى الناس، وقد منحهم الله البركة فى القليل فأنتج الكثير..

(*) هذه الشبهة أثارها المؤلف فى أكثر من حلقة [الحلقة الأولى، الثالثة، الرابعة، الثامنة، العاشرة، السادسة عشرة، الثامنة عشرة، التاسعة عشرة، الرابعة والعشرون]، حيث أظهر الإخوان يتلقون إعانات من: الملك، الإنجليز، السعودية، ويوالون: القصر، الوفد، الإنجليز، وبعض الأحزاب الأخرى.

(١) مجموعة الرسائل.

وإلى الآن لم تُمنح الجماعة إعانة واحدة من حكومة من الحكومات.. وهذا ما نباهي به ونفاخر، ونتحدى الناس جميعًا أن يقول أحدهم إن خزانة الجماعة قد دخلها قرش واحد من غير جيوب أعضائها، ولسنا نريد إلا هذا، ولن نقبل إلا من عضو أو من محب، ولن نعتمد على الحكومات في شيء ولن نبخل على دعوتنا يومًا من الأيام بقوت أولادنا وعصارة دمائنا وثمن ضرورياتنا، فضلا عن كمالياتنا والفائض من نفقاتنا[1].

إننا نعمل لغاية، على هدى من ربنا، وهي الإسلام وأبناؤه في كل زمان ومكان، ولن نعمل في يوم من الأيام لحساب هيئة من الهيئات أو جماعة من الجماعات، ولن نمد أيدينا إلى أحد، ولن نستعين بفرد أو هيئة أو جماعة[2].

●●●

(١، ٢) مجموعة الرسائل.

الجماعة | الإخوان جماعة من المسلمين(*)

لم يزل فقهاء الدعوة[1] المعتمدون وجميع قياداتها يعتبرون الإخوان هم جماعة من المسلمين، تسعى لتحقيق منهج الله فى الأرض، وإيجاد الأمة التى تحمل هذا المنهج وتطبقه -أولا- على نفسها، وتتحمل تبعات هذه الأمانة، والإخوان لا ينسون أبدًا أخوتهم لكل مسلم، كما وصف الله المؤمنين بقوله: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

كما أنهم لا يبخسون أهل الفضل فضلهم، ولا يتكبرون على الحق، بل يُحاسبون أنفسهم بإنصاف، والميزان الذى يرجعون إليه هو الحق المتمثل فى الكتاب والسنة، والحكم دائمًا بينهم هو حكم الله ورسوله

(*) هذه الشبهة أثارها المولف فى أكثر من حلقة [الحلقات: الاولى، الثالثة، الثانية عشرة]، مرة بالتصريح كما جاء على لسان يسرا اللوزى بأن الإخوان يعتبرون أنفسهم مسلمين وغيرهم ليسوا مسلمين، وأنهم يحتكرون الحقيقة لأنفسهم -ومرات أخرى بالتلميح وخصوصًا فى أدوار حسن البنا- صغيرًا وكبيرًا.

(١) الشيخ محمد عبد الله الخطيب، موقع: إخوان أون لاين.

والشورى، كما تحاول الجماعة دائمًا أن تنقى صفها، وأن تُربى أفرادها، وتحرر المسلمين من أمراضهم التى أدت إلى إذلالهم وقعودهم وتخلفهم.

فالعاملون للإسلام بحق يفهمون جيدًا أن جماعة المسلمين هى التى يمكِّن الله لها فى الأرض، ويكون لها إمام هو إمام المسلمين جميعًا، وقبل ذلك لا يجوز ولا يصح هذا، كما أن الإسلام ليس حكرًا على طائفة أو حزب أو جنس بشرى، وإنما هو دين الله الذى ختم به الرسالات للبشرية جمعاء، وأن الرسول ﷺ هو وحده محل القدوة والأسوة ومصدر التلقى والاتباع والطاعة: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

إن أى إنسان أو طائفة أو جماعة أو جنس بشرى لا يمتلك ذلك مهما علا شأنه، فإنه يبقى دائمًا وأبدًا متبعًا وليس مبتدعًا، ويبقى الإسلام وحده هو الموجه والقائد، ويبقى الإسلام وحده هو الحاكم والمسيطر على سلوكنا جميعًا، ويبقى الإسلام وحده هو الميزان الثابت لأعمالنا.. ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨].

ولا يصح أبدًا أن يكون سلوك فرد أو جماعة أو هيئة هو المنهج والمقياس، وإن نصيب المسلمين أفرادًا وجماعات من نصرة الإسلام

لا يكون متفاوتًا إلا بمقدار ما يقدمون لدينهم ولأمتهم، وبمقدار إخلاصهم وتجردهم، وبمقدار صدقهم وعطائهم، وبمقدار ما يقتربون بسلوكهم من المثل الكامل، المثل الأعلى المعصوم سيدنا محمد ﷺ. والإسلام دين جماهير هذه الأمة فى أنحاء العالم، وهو أمل هذه الجماهير وهدفها، بل وحياتها.

ومن هنا نستطيع أن نقول: إن الجماعات أو الجمعيات التى تدعو للإسلام ليست مراكز احتكار له، وليست بعيدة عن جماهير الأمة أو منفصلة عنها، أو غريبة عن كيانها وحقيقتها، وإنما هى مجموعات من العاملين للإسلام، ترجو أن تكون أكثر ثوابًا عند الله، وأكثر اهتمامًا بقضايا الإسلام وآلامه، وهى مراكز تعمل للإسلام وتتمثل الإسلام الحق فى واقعها، وتعطى نموذجًا عمليًا حسنًا طيبًا للحياة الإسلامية فى تسامحها وعدلها وأفقها الواسع وفهمها العميق للإسلام، وحبها للآخرين، وحرصها على سيادة أمة الإسلام.

●●●

الجماعة .. ولا يكفّرون مسلمًا أقر بالشهادتين(*)

الحكم على شخص بالكفر، يعنى إهدار دمه، وبالتالى فإن الحكم بكفر مسلم أمر فى غاية الخطورة؛ فإن من يكفِّر مسلمًا بغير حق يبوء هو بإثم الكافر، فقد روى البخارى أن أبا ذر -رضى الله عنه- سمع رسول الله ﷺ يقول: «**من دعا رجلا بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه**» [متفق عليه]، وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «**إذا قال الرجل لأخيه يا كافر، فقد باء بها أحدهما، فإن كان كما قال وإلا رجعت عليه**».

ولقد صاغ الإمام حسن البنا -رحمه الله- من هذه النصوص، قاعدة مهمة، هى الأصل العشرون من ركن الفهم، أراد بها ألا تكون كلمة الكفر سهلة النطق فيُرمى بها برءاء؛ لأن فى ذلك انحرافًا قد يؤدى إلى اتهام الأمة كلها بالكفر، كما فعل الخوارج، فتصير فتنة وهلاكًا. يقول رضى الله عنه: «لا نكفر مسلمًا أقر بالشهادتين وعمل بمقتضاهما وأدى الفرائض، برأى أو معصية، إلا أن أقر بكلمة الكفر، أو أنكر معلومًا من

(*) أثار المؤلف هذه الشبهة فى الحلقتين: الرابعة والتاسعة، وقد أنطق -زورًا- الإمام البنا بتكفير الآخرين فقال: الشيوعيون كفرة [الحلقة الرابعة والعشرون].

الدين بالضرورة، أو كَذَّب صريح القرآن، أو فسره على وجه لا تحتمله أساليب اللغة العربية بحال، أو عمل عملا لا يحتمل تأويلا غير الكفر».

ولقد كان موقف الإمام حسن الهضيبى صلبًا لا ليونة فيه، تجاه من أعلنوا هذا الفكر المنحرف، ولقد فاصلهم فى أثناء محنة السجن، وأصدر كتاب (دعاة لا قضاة) وقال لهم قولته المشهورة: «إذا أصررتم عليه، فابحثوا لكم عن لافتة أخرى غير لافتة الإخوان لتعملوا تحتها، فليس هذا فكر الإخوان وليس من الإسلام».

ولقد سارت الجماعة على هذا النهج طوال تاريخها، ما زاغت يومًا عنه. ولقطع الطريق على كل تأويل، تبنى مكتب الإرشاد عام ١٩٨٢ سياسة إخوانية ملزمة لجميع الأقطار، تقوم على مبدأ المناصحة بين الإخوان والسلطة الحاكمة[١].

وعندما سُئل الأستاذ عمر التلمسانى عن جماعات التكفير أجاب:

«الإسلام ينكر الاغتيال والقتل، وما دمنا مسلمين فنحن متمسكون بديننا، وهذه الجماعات -والكثير منها يكفرنا كالتكفير والهجرة والجهاد- يرددون أن الإخوان المسلمين قد تركوا الجهاد، ونحن فى عُرف بعض هذه الجماعات نشترك -على مستوى واحد- فى الإثم مع الدولة،

(١) انظر: الإخوان المسلمون فى مصر، مصطفى الطحان، دار التوزيع والنشر الإسلامية ٢٠٠٥م.

وللأسف كانت الأسلحة تُشترى وخطط العنف تُدبَّر، وقد تركت الدولة كل هذا واستشعرت فقط خطر مقالات البعض من أمثالى. إن دينى يحرم العنف، وإذا أبحت قتل إنسان أختلف معه فإننى أبيح قتلى أنا الآخر. وثق أن هناك منطقًا بسيطًا يفيد بأن هذا الشباب المتطرف لو وجد بغيته فى العنف وأسلوب الاغتيال السياسى فى جماعة الإخوان المسلمين لانضم إلينا، وما وجد حاجة للانضمام إلى تنظيمات أخرى غيرنا»[1].

• عباءة الإخوان المظلومة!!

ومن التهم التى يوجهها المرجفون للإخوان، أن جماعات (العنف والتكفير) خرجت من تحت عباءتهم.. يقول الدكتور يوسف القرضاوى ردًا على هذه التهمة:

«والحق الذى لا ريب فيه: أن بعض هذه الجماعات مثل جماعة (التكفير) تعد (انشقاقًا) على الإخوان، وليست (امتدادًا) للإخوان.

وقد بدأت بذور هذه الجماعة فى السجن الحربى، وتسلسل تفكيرهم حتى انتهى بهم الأمر إلى (تكفير الناس بالجملة)، ابتداءً بالذين يتولون تعذيبهم بلا رحمة، ثم من يأمرهم بهذا التعذيب من الحكام، ثم من يسكت عن هؤلاء الحكام من الشعوب.

(١) مقابلة مع المرشد العام الأستاذ عمر التلمسانى، مجلة المجلة ١٦/ ١/ ١٩٨٢م.

وقد اعتزلت هذه الفئة الإخوان فى السجون، وكانوا لا يصلّون معهم، وقام بينهم وبين الإخوان جدل طويل، ورد عليهم مرشد الجماعة الثانى الأستاذ حسن الهضيبى رحمه الله فى مقالات سجلها ونشرها بعد ذلك فى كتابه (دعاة لا قضاة).

وقد اتهم شكرى مصطفى أمير جماعة التكفير ومؤسسها، قادة الإخوان بالخيانة العظمى؛ لأنهم لم يقاوموا رجال الأمن والشرطة وسلموا جلود إخوانهم للسياط ورقابهم للمشانق..

فكيف يُعتبر الإخوان مسئولين عن هؤلاء الذين انشقوا عنهم واتهموهم بأبشع التهم؟

إن هذا أشبه بمن يحمِّل أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه وزر جماعة (الخوارج) الذين كانوا جنودًا فى جيشه، ثم انشقوا عنه وخرجوا عليه، ورموه بالكفر، وتحكيم الرجال فى دين الله، ثم تآمروا عليه وقتلوه غيلة رضى الله عنه!

هل يقبل عاقل هذا المنطق الأعوج؟ أن يحمل المرء تبعة من يخرج عنه ويتمرد عليه وينصب له الحرب والعداء؟

هذا ما تتبناه -للأسف الشديد- أجهزة الإعلام المصرية والعربية، وترده ولا تمله، وما يكرره كتاب علمانيون أو ماركسيون يعادون الإخوان، بل يعادون رسالة الإسلام.

وأما جماعة (الجهاد) و(الجماعة الإسلامية) فى مصر فليست انشقاقًا عن الإخوان، بل هى جماعات نشأت من أول يوم احتجاجًا على الإخوان، وإنكارًا عليهم أنهم خانوا (مبدأ الجهاد) الذى أعلنوه طريقًا لهم، وشعارًا يتغنون به (الجهاد سبيلنا والموت فى سبيل الله أسمى أمانينا).

والإخوان لم يخونوا مبدأ الجهاد كما زعم هؤلاء، ولكن (الجهاد) ليس معناه (القتال) بل الجهاد مراتب وأنواع»[1].

●●●

(١) الإخوان المسلمون.. (٧٠) عامًا فى الدعوة والتربية والجهاد، د. يوسف القرضاوى، مكتبة وهبة، ١٩٩٩م.

الجماعة | الإخوان لا يطلبون الحكم لأنفسهم(*)

هناك من يتهم الإخوان المسلمين، بالسعى إلى الحكم، والجرى وراء السلطة، وأن تلك غايتهم الكبرى، التى يبررون من أجلها جميع الوسائل.

وهذا الكلام يقوله خصوم الإخوان، الذين يريدون إرهابهم فكريًا، والتشويش على دعوتهم، لينفضّ الناس من حولها.. فإن فكر الإخوان ومنهجهم فى هذا الجانب هو فكر الإسلام الصحيح، فالسلطة لا تُطلب لذاتها، وإنما يطلبها المسلمون ليطبقوا من خلالها شرع الله، وليقيموا المجتمع على ما تقوم عليه المجتمعات الإسلامية الفاضلة، بإقامة العدل ونشر قيم الحق والحرية والفضيلة.

إن منهاج الإخوان المسلمين فى التغيير، يقوم على التدرج، ولا يؤمن بالثورة، والتدرج معناه اقتناع الشعب بالإسلام، حكومة وشريعة، قناعة تامة، وبعدها سوف يختار الشعب، الحكومة الإسلامية الرشيدة، الصادرة عن المجتمع المسلم الواعى، وفى هذا يقول الإمام البنا:

(*) «الإخوان كيان سياسى بالدرجة الأولى، يسعون للحكم كما تفعل باقى الأحزاب».. هذا ما قاله وحيد حامد على لسان راويه عزت العلايلى [الحلقة الرابعة]، إضافة إلى إثارة هذه الشبهة فى عدة حلقات أخرى.

«وأما الثورة فلا يفكر الإخوان المسلمون فيها، ولا يعتمدون عليها، ولا يؤمنون بنفعها ونتائجها، وإن كانوا يصارحون كل حكومة فى مصر بأن الحال إذا دامت على هذا المنوال ولم يفكر أولو الأمر فى إصلاح عاجل وعلاج سريع لهذه المشكلات، فسيؤدى ذلك حتمًا إلى ثورة ليست من عمل الإخوان المسلمين ولا من دعوتهم، ولكن من ضغط الظروف ومقتضيات الأحوال، وإهمال مرافق الإصلاح. وليست هذه المشكلات التى تتعقد بمرور الزمن ويستفحل أمرها بمضى الأيام إلا نذيراً من هذه النذر، فليسرع المنقذون بالأعمال»(١).

لكن.. هل فى منهاج الإخوان المسلمين أن يكوِّنوا حكومة، وأن يطالبوا بالحكم.. أو ينتزعوه من غيرهم؟.. هذا ما أجاب عنه مؤسس الجماعة، فى رسالة المؤتمر الخامس بقوله:

«ويتساءل فريق آخر من الناس: هل فى منهاج الإخوان المسلمين أن يكوِّنوا حكومة وأن يطالبوا بالحكم؟ وما وسيلتهم إلى ذلك؟ ولا أدع هؤلاء المتسائلين أيضًا فى حيرة، ولا نبخل عليهم بالجواب، فالإخوان المسلمون يسيرون فى جميع خطواتهم وآمالهم وأعمالهم على هدى الإسلام الحنيف كما فهموه، وكما أبانوا عن فهمهم هذا فى أول هذه الكلمة. وهذا الإسلام الذى يؤمن به الإخوان المسلمون يجعل الحكومة ركنًا من أركانه، ويعتمد على التنفيذ كما يعتمد على الإرشاد، وقديمًا

(١) مجموعة الرسائل، مرجع سابق.

قال الخليفة الثالث رضى الله عنه: «إنَّ الله لَيَزَعُ بالسلطان ما لا يزع بالقرآن». وقد جعل النبى ﷺ الحكم عروة من عرى الإسلام. والحكم معدود فى كتبنا الفقهية من العقائد والأصول، لا من الفقهيات والفروع، فالإسلام حكم وتنفيذ، كما هو تشريع وتعليم، كما هو قانون وقضاء، لا ينفك واحد منها عن الآخر. والمصلح الإسلامى إن رضى لنفسه أن يكون فقيهًا مرشدًا يقرر الأحكام ويرتل التعاليم ويسرد الفروع والأصول، وترك أهل التنفيذ يشرِّعون للأمة ما لم يأذن به الله ويحملونها بقوة التنفيذ على مخالفة أوامره، فإن النتيجة الطبيعية أن صوت هذا المصلح سيكون صرخة فى وادٍ ونفخة فى رماد كما يقولون.

فقد يكون مفهومًا أن يقنع المصلحون الإسلاميون برتبة الوعظ والإرشاد إذا وجدوا من أهل التنفيذ إصغاءً لأوامر الله وتنفيذًا لأحكامه، وإيصالا لآياته وأحاديث نبيه ﷺ. أما والحال كما نرى: التشريع الإسلامى فى وادٍ، والتشريع الفعلى والتنفيذى فى وادٍ آخر، فإن قعود المصلحين الإسلاميين عن المطالبة بالحكم جريمة إسلامية لا يكفرها إلا النهوض واستخلاص قوة التنفيذ من أيدى الذين لا يدينون بأحكام الإسلام الحنيف.

هذا كلام واضح لسم نأت به من عند أنفسنا، ولكننا نقرر به أحكام الإسلام الحنيف. وعلى هذا فالإخوان المسلمون لا يطلبون الحكم

لأنفسهم، فإن وجدوا من الأمة من يستعد لحمل هذا العبء وأداء هذه الأمانة، والحكم بمنهاج إسلامى قرآنى فهم جنوده وأنصاره وأعوانه، وإن لم يجدوا فالحكم من منهاجهم، وسيعملون لاستخلاصه من أيدى كل حكومة لا تنفذ أوامر الله.

وعلى هذا فالإخوان أعقل وأحزم من أن يتقدموا لمهمة الحكم ونفوس الأمة على هذا الحال، فلا بد من فترة تُنشر فيها مبادئ الإخوان وتسود، ويتعلم فيها الشعب كيف يؤثر المصلحة العامة على المصلحة الخاصة.

وكلمة لا بد أن نقولها فى هذا الموقف، هى أن الإخوان المسلمين لم يروا فى حكومة من الحكومات التى عاصروها -لا الحكومة القائمة ولا الحكومة السابقة ولا غيرهما من الحكومات الحزبية- من ينهض بهذا العبء، أو من يبدى الاستعداد الصحيح لمناصرة الفكرة الإسلامية، فلتعلم الأمة ذلك، ولتطالب حكامها بحقوقها الإسلامية، وليعمل الإخوان المسلمون.

وكلمة ثانية: إنه ليس أعمق فى الخطأ من ظن بعض الناس أن الإخوان المسلمين كانوا فى أى عهد من عهود دعوتهم مطية لحكومة من الحكومات، أو منفذين لغاية غير غايتهم، أو عاملين على منهاج غير منهاجهم، فليعلم ذلك من لم يكن يعلمه من الإخوان أو من غير الإخوان».

• لا للقفز على السلطة

والإخوان على قناعة تامة، أنه لن يكون هناك حكم إسلامى، إلا إذا أرادت الشعوب نفسها ذلك، ولن يتم هذا الأمر إلا إذا قام الإخوان بدورهم فى هذا المجال، بتوعية الشعب وقيادته إلى الله وإلى شرعه وشريعته. يقول المرشد الثالث الأستاذ عمر التلمسانى: «إن من أهم واجبات الشباب ألا يفكر اليوم فى الحكم والحكومة، لا لأنها ليست مطلوبة منا كمسلمين أبدًا، نحن مطالبون بألا يكون الحكم إلا لله، وعلينا أن نضع ذلك فى برنامجنا، ولكننا لن نصل إلى تحقيق ذلك فى يسر وسهولة إلا إذا ربطنا الشعوب المسلمة بدينها، تؤمن بأن الله ربها القادر على كل شىء، وأن رسول الله ﷺ زعيمها الذى هداها إلى كل خير، وأن القرآن دستورها الذى حوى كل شىء، وأن الجهاد سبيلها الموصل إلى كل شىء، وأن الموت فى سبيل الله أعز عليها من كل شىء، فأعدوا لذلك ما يجب أن يُعد له من علم وقوة وتضحية وفداء؛ بعد أن تربطوا شعوبكم بحبل الله المتين، وحينذاك سترون كيف يتحقق للمسلمين ما تشتهون من أمن وهدوء وسلام. أما التحركات السرية الطائشة دون أن يكون الشعب كله مؤمنًا بما تفعلون؛ فليس من ورائه إلا إنهاك القوى وإضاعة الجهود وتأخير النجاح»[1].

(١) عمر التلمسانى.. بين حماس الشباب وحكمة الشيوخ، مصطفى العدوى، دار الأقصى للكتاب، ١٩٨٧م.

أما القفز على السلطة، والسيطرة على مقاليد البلاد بالانقلابات والفتن، فهذا ليس منهج الإخوان، بأى حال..

يقول الأستاذ عمر التلمسانى:

«إن الإخوان المسلمين لن يفكروا يومًا من الأيام فى استبدال حاكم بحاكم؛ فالكل فى الهوى سواء، ولكنهم يعملون ويصرحون وينادون بإحلال حكم الله محل حكم البشر؛ لأن فيه الخير والصلاح ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

ولو أراد الإخوان المسلمون الحكم، لنالته أيديهم ولتسنموا غاربه منذ أمد بعيد، ولكنهم عن زهو الدنيا فى شغل، وما أرادوا إلا حكم الله وتطبيق شريعته، أيًا كانت تلك اليد التى تطبق الشريعة السمحاء، وما من شك فى أن كل حاكم لبلد إسلامى يعلم عن طريق جواسيسه ومخابراته أن الإخوان المسلمين لا يتآمرون ولا يخربون؛ لأن أساس دعوتهم الحكمة والصراحة والوضوح.

إن الإخوان لا يسعون لحكم، ولكنهم يعملون لتسود العقيدة، إنهم يمدون أيديهم طاهرة عزيزة، فى كرامة المسلم وعزة المؤمن، لكل من يعمل لتحقيق هذا الغرض النبيل؛ لا يألونه نصحًا ولا يمنعونه تأييدًا، ولا يضنون عليه بكلمة ثناء، فالفضل لا يعرفه من الناس إلا ذووه»[1].

(١) مجلة الدعوة، العدد العاشر، ربيع ثان ١٣٩٧هـ، مارس ١٩٧٧م.

إن السبب الرئيس فى اصطدام الإخـوان بأهل الحكم والسلطة، أنهم لم يكونوا أبدًا مطيـة لحكومـة من الحكومات، أو رئيس من الرؤسـاء، وهم ممن لا يبيعـون مبادئهم بأى مقـابل، ولا يمدون أيديـهم لأحـد، ولا يتلونون، ولا يتغيرون بتغير الظروف والأحوال.. وبالتالى ففى ظل الحكومـات العلمانيـة التابعـة ليس للإخـوان مكان فى السلطة، بل قل ليس لهم مكان سوى المعتقلات والسجون.. ورغم ذلك فإنهم ما فتئوا يشاركون فى العـمل السياسى، باعتـبارهم فصيلا مـؤثرًا وعريضًا على الساحـة، ملتزمـين بالقانون وبالأسـاليب التى ارتضاها النـظام الحاكم للأحزاب والقوى السياسية..

وكان من نتاج ذلك، حصدهم أغلبـية الأصوات، فى أى انتخابات تجريهـا السلطة.. فلم يرض هـذا النظـام الحاكم بذلك، فصـار يتفنن فى إلحاق الأذى بهم، مـحاولا -حسب وهمه- اسـتئصالهم، فـاعتقل الآلاف، وشـردهم، وأقام المحـاكمـات العسكرية للبـرءاء الشرفـاء.. ومـازال يختـرع الوسائل لإيذائهم، ومـازال الشـعب يعطيهم صـوته، ويقف خلفهم كلما تطلب الأمر ذلك.

ويسـعى قـادة الإخـوان، رغم إيذاء الحكام والحكومـات لهم، إلى التـقـرب منهم، وإظهـار النيـات الحسنة مـن جانبـهم، ومـد الأيادى بالمصافحة والمسامحة... ولا مجيب!!

الجماعة | الإخوان والسياسة(*)

من التهم القديمة الجديدة التى توجَّه إلى الإخوان أنهم (سيَّسوا الدين)، أى خلطوا الدين بالسياسة، وقد حذرهم أحد الحكام يومًا فقال: لا دين فى السياسة ولا سياسة فى الدين..

والمؤكد أن الذى (سيس الدين) هو الله، شارع الدين، ومصدر الأحكام؛ فالإسلام منهاج شامل للدين والدنيا، للعقيدة والشريعة، والحضارة والأخلاق..

يقول الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الأسبق (رحمه الله): «والدعوة إلى إبعاد الإسلام -بالعلمانية- عن سياسة الدولة وشئون العمران، هى قطع لإحدى ساقيه، وتعطيل لإحدى رئتيه، وكفران ببعض آيات كتابه، ينتقص من كمال واكتمال الإيمان بهذا الإسلام.. وإذا كانت العلمانية -فى نشأتها الغربية- قد جاءت كرد فعل للتجاوز الكنسى وتحكم الكهانة وتحكم

(*) ينكر وحيد حامد على الإخوان عملهم بالسياسة (الحلقات: الثانية، الرابعة، الخامسة، السابعة عشرة، الحادية والعشرون، الثانية والعشرون، الثالثة والعشرون، الثامنة والعشرون) راغبًا فى قصر ذلك على غير المتدينين من العلمانيين وأشباههم، مشككًا فى قدرة الإسلاميين على القيام بهذه المهمة.

طبقة الكهان.. فإنها -بذلك- تكون (حلا غربيًا لمشكلة غربية)، وهذه المشكلة -الكهانة والكهنوت ووجود طبقة لرجال الدين، واحتكار هذه الطبقة شئون الحكم- هى مشكلة لم تعرفها الحضارة الإسلامية ولا تاريخ المسلمين؛ لأن الإسلام يرفض ذلك كله من الأساس»[1].

«لقد أقام «المسلمون» دولة «الإسلام».. إنجازًا «بشريًا».. مدنيًا» مرجعيته «الشريعة».. الإلهية».. فأقاموا -بذلك- «الدين» وساسوا به «الدولة»، بل وكل مناحى العمران.. فعرفت الإنسانية «حضارة» أبدعها البشر، لكنها مصطبغة بصبغة «الإسلام».. فكل عمرانها المدنى: من علوم وآداب وفنون -وكل تطبيقات لها- إنما تتغيا تحقيق السعادة الأخروية، بواسطة هذا الإبداع فى هذه الحياة الدنيا!..

وعلى الدرب نفسه، وبالمنهاج ذاته استمرت دولة الخلافة الراشدة -بعد انتقال رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى- يسوسها أولو الأمر بالاجتهاد البشرى المحكوم بمرجعية الدين.. طاعتهم مشروعة بطاعة الله ورسوله.. فإن تخلفت طاعتهم لله ورسوله، وخرقوا إطار حاكمية الشريعة، سقطت -تلقائيًا وفورًا- فريضة طاعتهم عن المحكومين.. يقررون هم ذلك فى إعلان ولايتهم، قبل أن تعلنه الرعية!.. فيخطب الصديق أبو بكر -رضى الله عنه- عقب بيعته

(١) انظر: الإسلام والسياسة، د. محمد عمارة، دار الأندلس الجديدة، ٢٠٠٧م.

فيقول: «وُليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينونى، وإن أسأت فقومونى!.. أطيعونى ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم»[1]!..

إذًا، طبيعة الدين الإسلامى نفسه لم تفرق بين الدين والسياسة، وتعرُّضُ الإخوان للسياسة، سواء كانت من حيث المطالبة بحرية البلاد وحقوقها، أم وجوب الأخذ بنظم الإسلام الحنيف فى أوضاعها الاجتماعية على اختلافها، تعرضٌ مستمد من الإسلام نفسه، ومعتمد عليه، وهو جزء من أجزاء هذا الدين لا انحراف عنه.

يقول الدكتور يوسف القرضاوى: «إن (شمولية الإسلام) ليست من ابتداع الإخوان، بل هى ما قرره القرآن والسنة وأجمعت عليه الأمة، وتأسست عليها ثقافة وحضارة، وامتد به تاريخ وتراث..

وكل المصلحين الكبار الذين سطعت نجومهم فى آفاق الأمة، وحاولوا النهوض بها فى العصر الحديث، كلهم أدخلوا السياسة فى الدين والدين فى السياسة: محمد عبد الوهاب، والسنوسى، والمهدى، والأمير عبد القادر، والأفغانى، والكواكبى، ومحمد عبده، ورشيد رضا، وابن باديس، وغيرهم، كلهم نظروا إلى الإسلام تلك النظرة

(١) انظر: الإسلام والسياسة، د. محمد عمارة، دار الأندلس الجديدة، ٢٠٠٧م.

الشاملة التى لا تفرق بين دين وسياسة، فهم جميعًا مشتركون فى (تسييس الدين).

فليس حسن البنا بدعًا فى المصلحين، ولا دعوته بدعًا فى دعوات الإصلاح والتجديد.

والملتزمون بالإسلام شأنهم شأن سائر المواطنين، من حقهم أن يمارسوا السياسة وفق معتقداتهم ومفاهيمهم، ولا يجوز أن يُحرموا منها لمجرد أنهم متدينون»[1].

«والإخوان لم يعملوا يومًا من الأيام على أساس المناورات الحزبية أو المغانم السياسية، ولكنهم عملوا بروح الوطنيين المجردين الذين ينظرون إلى المسائل من حيث نفعها للوطن أو مساسها بمصلحته، وإن كانت طبيعة الحزبية السياسية لم تعفهم من مظاهر الخلاف والخصام، ولكنهم مع ذلك لم يخرجوا عن حدود الدفاع المهذب وتمنى الخير للجميع، والترحيب بالوحدة والجماعة والدعوة إليها فى كل حدث من الأحداث.

أما السياسة التى يدعو إليها الإخوان فهى سياسة القوة والصراحة والطهر والشرف والكرامة، سياسة لا تجامل فى الحق، ولا تتهاون فى العدل، ولا تخشى فى الله لومة لائم، سياسة يحكمها دستور منزل من عند الله، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.. دستور يكون فيه

(١) الإخوان.. (٧٠) عامًا فى الدعوة والتربية والجهاد، مرجع سابق.

المسلمون وغير المسلمين متساوين فى الحقوق، لا على أساس من النفاق السياسى والأهواء والمداهنة.

أما ما يدّعيه العلمانيون من أنهم لا يخشون الإسلام، وإنما يخشون التطبيق البشرى له، مدّعين أنهم يريدون تنزيه الإسلام عن أخطاء التطبيق البشرى.. فتلك شبهة فاضحة مردودة عليهم، فإن كل التطبيقات لجميع النظريات هى تطبيقات بشرية، فالجاهلية يطبقها البشر الجاهليون، والماركسية يطبقها البشر الماركسيون، والليبرالية يطبقها البشر الليبراليون.

إن الإسلام -كدين إلهى ووضع إلهى- هو «مثال».. وإن «إقامة البشر» و«تطبيقاتهم» للدين هى «واقع».. وستظل مسافة ما دائمًا وأبدًا بين «الواقع» وبين «المثال».. فى وجود هذه المسافة يكمن ويتجسد الحافز الذى يستحث الإنسان دائمًا وأبدًا على محاولة تجاوز «الواقع» ليقترب أكثر فأكثر من «المثال» ولولا هذا لفرغ جدول أعمال الحياة، وأصيب الأحياء بالقنوط والإحباط.. فوجود المسافة بين «التطبيق البشرى» للدين وبين «المثال الدينى» ضرورة حياتية طبيعية، اقتضتها وتقتضيها الفوارق بين الإلهى و«البشرى»، واقتضتها وتقتضيها حكمة الله فى استمرار وتجدد الآمال، فى التقدم دائمًا وأبدًا»[1].

(١) انظر: الإسلام والسياسة، مرجع سابق.

يقول الإمام الشهيد:

يا قومنا: إننا نناديكم والقرآن فى يميننا والسنة فى شمالنا، وعمل السلف الصالحين من أبناء هذه الأمة قدوتنا، وندعوكم إلى الإسلام وتعاليم وأحكام الإسلام وهدى الإسلام؛ فإن كان هذا من السياسة عندكم فهذه سياستنا، وإن كان من يدعوكم إلى هذه المبادئ سياسيًا فنحن أعرق الناس والحمد لله فى السياسة، وإن شئتم أن تسمُّوا ذلك سياسة فقولوا ما شئتم؛ فلن تضرنا الأسماء متى وضحت المسميات وانكشفت الغايات.

يا قومنا: لا تحجبكم الألفاظ عن الحقائق، ولا الأسماء عن الغايات، ولا الأعراض عن الجواهر، وإنَّ للإسلام لسياسة فى طيها سعادة الدنيا وصلاح الآخرة؛ وتلك هى سياستنا لا نبغى لها بديلا فسوسوا بها أنفسكم، واحملوا عليها غيركم تظفروا بالعزة الأخروية، ولتعلمن نبأه بعد حين[1].

●●●

(١) مجموعة الرسائل.

الجماعة | موقف الإخوان من التطرف والعنف(*)

«لقد أعلن الإخوان المسلمون عشرات المرات خلال السنوات الماضية: أنهم يخوضون الحياة السياسية ملتزمين بالوسائل الشرعية، والأساليب السلمية وحدها، مسلحين بالكلمة الحرة الصادقة، والبذل السخى، فى جميع ميادين العمل الاجتماعى.. مؤمنين بأن ضمير الأمة ووعى أبنائها هما فى نهاية الأمر الحكم العادل بين التيارات الفكرية والسياسية، التى تتنافس تنافسًا شريفًا فى ظل الدستور والقانون، وهم لذلك يجددون الإعلان عن رفضهم أساليب العنف والقسر، وجميع صور العمل الانقلابى الذى يمزق وحدة الأمة، والذى قد يتيح لأصحابه فرصة القفز على الحقائق السياسية والمجتمعية، ولكنه لا يتيح لهم أبدًا فرصة التوافق مع الإرادة الحرة لجماهير الأمة.. كما أنه يمثل شرخًا هائلا فى جدار الاستقرار السياسى، وانقضاضًا غير مقبول على الشرعية الحقيقية فى المجتمع.

(*) فى ست عشرة حلقة [١، ٢، ٣، ٥، ١٠، ١٢، ١٣، ١٥، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٨] يلح وحيد حامد على اتهام الإخوان بالعنف -وهى تهمة كاذبة وأهون من أن نرد عليها.. لكن نكتفى بنشر هذا البيان الذى صدر عام ١٩٩٥م.

وإذا كان جو الكبت والقلق والاضطراب الذى يسيطر على الأمة قد ورّط فريقًا من أبنائها فى ممارسة إرهابية، روعت الأبرياء وهزت أمن البلاد، وهددت مسيرتها الاقتصادية والسلمية، فإن الإخوان المسلمين يعلنون -فى غير تردد ولا مداراة- أنهم برءاء من شتى أشكال ومصادر العنف، مستنكرون لشتى أشكال ومصادر الإرهاب، وأن الذين يسفكون الدم الحرام أو يعينون على سفكه شركاء فى الإثم، واقعون فى المعصية، وأنهم مطالبون فى غير حزم وبغير إبطاء بأن يفيئوا إلى الحق؛ فإن المسلم من سلم الناس من لسانه ويده، وليذكروا -وهم فى غمرة ما هم فيه- وصية الرسول ﷺ فى حجة وداعه: **«أيها الناس إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرامٌ عليكم إلى يوم القيامة كحرمة يومكم هذا فى عامكم هذا فى بلدكم هذا»**.

أما الذين يخلطون الأوراق عامدين، ويتهمون الإخوان ظالمين، بالمشاركة فى هذا العنف والتورط فى ذلك الإرهاب، متعللين فى ذلك بإصرار الإخوان على مطالبة الحكومة بألا تقابل العنف بالعنف، وأن تلتزم بأحكام القانون والقضاء، وأن تستوعب فى دراستها ومعالجتها لظاهرة العنف جميع الأسباب والملابسات، ولا تكتفى بالمواجهة الأمنية -فإن ادعاءاتهم مردودة عليهم بسجل الإخوان الناصع كرابعة النهار على امتداد سنين طويلة، شارك الإخوان خلال بعضها فى المجالس النيابية

والانتخابات التشريعية، واستُبعدوا خلال بعضها الآخر عن تلك المشاركة، ولكنهم ظلوا على الدوام ملتزمين بأحكام الدستور والقانون، حريصين على أن تظل الكلمة الحرة الصادقة سلاحهم الذى لا سلاح غيره، يجاهدون به فى سبيل الله، لا يخافون لومة لائم، والأمر فى ذلك كله ليس أمر سياسة أو مناورة، ولكنه أمر دين وعقيدة، يلقى الإخوان المسلمون عليهما ربهم.. ﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩][1].

●●●

حقيقة النظام الخاص:

فى سنة ١٩٤٠ أنشأ الإمام البنا جهازًا خاصًا داخل الجماعة، سماه (النظام الخاص)، يُضم إليه من أفراد الجماعة من عُرفوا بإخلاصهم للدعوة وثباتهم عليها، كما يتميزون باللياقة البدنية والقدرة على الاحتمال، والصبر على المكاره، وكتمان الأسرار، والسمع والطاعة فى المنشط والمكره، والاستعداد للتضحية والبذل..

كان الإمام البنا، قد أدرك أن الأعداء الحقيقيين للدعوة، هم المستعمر وأذنابه، وأن هذا المستعمر لا بد من الوقوف له بالمرصاد، كما أدرك

(١) انظر: بيان الإخوان المسلمين، الصادر فى ٣٠ من ذى القعدة ١٤١٥هـ- ٣٠ من أبريل ١٩٩٥م.

-رحمه الله- أن قضية فلسطين، مؤامرة عالمية، اشترك فيها العديد من الأطراف، وهؤلاء بحاجة إلى قوة تفتت جمعهم وتردعهم عما يرتكبونه من جرائم على أرض فلسطين[1]. كان البنا يائسًا من قيام الأنظمة العربية والإسلامية بنصرة القضية الفلسطينية، وكان واثقًا أن عصابات الصهاينة فى فلسطين وجنود الإنجليز فى مدن القناة لن يستطيع التصدى لهم إلا عصابات الإخوان، أما الانتظار لحين حدوث يقظة عند الأنظمة أو الجيوش العربية، فهذا حلم الغائبين عن الوعى.

وبدأ النظام الخاص فى تنفيذ عملياته، ضد الإنجليز -التى زادت على عشرين عملية نوعية، إضافة إلى عمليات أخرى محدودة- فكان أول عمل له هو مهاجمة النادى البريطانى، ليلة عيد الميلاد، حيث ألقى إخوان النظام قنبلة على النادى، لم تقتل أحدًا، لكنها بثت الرعب فى قلوب الجنود الإنجليز الذين جأر سكان القاهرة بالشكوى من أفعالهم، من قتل المواطنين وهتك أعراضهم وتحطيم محلاتهم.

---

(١) راجع (بتوسع) دور النظام الخاص فى حرب فلسطين:

١- الإخوان المسلمون فى حرب فلسطين، كامل الشريف ومصطفى السباعى، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٩٨٦م.

٢- حقيقة التنظيم الخاص ودوره فى دعوة الإخوان المسلمين، محمود الصباغ، دار الاعتصام، ١٩٨٩م.

٣- الإخوان والعنف، عامر شماخ، دار السعد، ٢٠٠٧م.

• هل هناك الآن تنظيم خاص للإخوان؟

من المؤكد، أنه ليس هناك تنظيم خاص للإخوان الآن، لقد أسس الإمام البنا التنظيم وفى ذهنه قيام أفراده بالجهاد ضد الإنجليز والصهاينة، فلما انحرف قادته، بدأ -رحمه الله- فى تفكيكه، حتى جاء المرشد الثانى المستشار حسن الهضيبى فاستكمل ما بدأه البنا، وقد نجح فى ذلك.

ومن وقتها لم يعد للإخوان جهاز سرى مسلح، ولو كان لهم مثل هذا الجهاز، لكنا قد سمعنا عن أعماله، فمن غير المنطقى أن يبقى الجهاز كامنًا وفى حالة بيات دائم لمدة تصل إلى سبعين عامًا.

كما أن الواقع يتعارض مع من يفترض وجود هذا الجهاز؛ فقد صار الإخوان يمارسون جميع أنشطتهم بشكل علنى، وما من قرية أو مدينة إلا وبها أعداد كبيرة من الإخوان، يعرفهم الناس ويحبونهم ويتعاطفون معهم، وتعرفهم كذلك الحكومات وأجهزة الأمن.. بل لقد صارت كلمة (المحظورة) مثار سخرية الجميع، حيث ترد أخبار تلك الجماعة (المحظورة) فى وسائل الإعلام أكثر من ورود أخبار الحزب الحاكم!!.

ولقد أصدر الإخوان المسلمون بيانًا جامعًا أوضحوا فيه موقفهم من العمل السرى جاء فيه: «ليس لدى الإخوان المسلمين أى تنظيمات سرية، أو النية لعمل تنظيمات تعمل تحت الأرض بعيدًا عن الأعين؛ فليس هذا من منهاجهم أو توجههم، فضلا عن أن العمل السرى يضر بالعمل الدعوى.

فأما أن التنظيمات السرية لا تتفق ومنهج الإخوان فذلك واضح من خلال حركتهم ونشاطهم فى مجالات كثيرة ومتعددة عبر العقود الأخيرة، كما أن لافتاتهم وملصقاتهم موضوعة فى كل مكان شاهدة على أنهم يعملون فى وضح النهار وأنهم موجودون وسط الميدان يعيشون مع الناس ويمتزجون بهم ويشاركونهم أفراحهم وأتراحهم.

ولم يتخلف الإخوان المسلمون يومًا عن الإدلاء بدلوهم وتبيان آرائهم ومواقفهم فى أى قضية محلية أو إقليمية أو دولية.

فلماذا بعد كل هذا يلجأ الإخوان لعمل تنظيمات سرية؟

وأما أن التنظيمات السرية تضر بالعمل الدعوى فهذا يرجع إلى أن التنظيمات السرية تعمل فى الظلام، والظلام بطبيعته يستحيل معه -مهما كانت القيادة نشطة وواعية ومتحركة وجادة- متابعة كل الأفراد (خاصة إذا كان عددهم عظيمًا) من حيث العقيدة والأفكار والسلوكيات والأخلاق، ومدى مطابقة هذا من عدمه للعقيدة الصحيحة، والأفكار الأصيلة للدعوة، والسلوكيات والأخلاق الأساسية للإسلام»[1].

●●●

(١) بيان من الإخوان المسلمين بتاريخ ٢٠/ ٤/ ١٩٩٥م.

الجماعة | الإخوان أحيوا فريضة الجهاد(*)

شرع الإسلام الجهاد، أو القتال، لسببين، **الأول**: منع الاعتداء على الأوطان، لقول الله تعالى ﴿**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا**﴾ [البقرة: ١٩٠]، **والسبب الثانى**: لمنع إكراه المسلمين على الخروج من دينهم، لقوله تعالى: ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ**﴾ (البقرة: ١٩٣).. ومع ذلك فإن الإسلام حريص على العودة إلى أجواء السلام فور زوال أسباب الحرب: ﴿**وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ**﴾ [الأنفال: ٦١]، ﴿**فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا**﴾ [النساء: ٩٠].

ولقد أجمع فقهاء المسلمين، على امتداد عصور الإسلام، على وجوب القتال دفاعًا عن أوطان المسلمين، بل إن جميع الشرائع السماوية والمواثيق الدولية وهيئات حقوق الإنسان، تحفظ لجميع الشعوب حقها فى السيادة على أرضها، ورد العدوان عنها.

(*) يُظهر وحيد حامد حسن البنا وجماعته، ساعين للسلطة، راغبين فى الحكم، أما الجهاد ومقاومة المحتلين فليس لهما مكان فى واقع الجماعة [راجع الحلقة ٢٥].

ولهذا وقف الإخوان وراء كل القضايا الإسلامية، وأنشأوا لذلك قسم الاتصال بالعالم الخارجي، الذى قام بدور كبير فى مناصرة قضايا الدول الإسلامية كفلسطين، ولبنان، وسوريا، ودول المغرب، كما قام بالدور نفسه مع الأقليات المسلمة المضطهدة فى أماكن كثيرة من العالم.

ولقد جعلت الحركة شعارها وعلمها مصحفًا يحوطه سيفان، كُتبت تحته عبارة (وأعدوا) إشارة إلى الآية الكريمة ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ**﴾ [الأنفال: ٦٠]، كما جعلت أحد هتافاتها الرئيسية: (الجهاد سبيلنا، والموت فى سبيل الله أسمى أمانينا).

لقد قام الإخوان بأعمال جهادية عظيمة ضد المحتل الإنجليزى فى مصر، وضد الصهاينة فى فلسطين.. ولقد سجل أعضاء الجماعة بطولات لفتت الأنظار، واعترف بها العدو والصديق، ولقد دُفن من شهدائهم عدد لا يُحصى على أرض فلسطين المباركة.

ومازلنا نسمع عن بطولات الإخوان فى فلسطين ضد العدو الصهيونى، وانتفاضاتهم المتتالية، التى بفضلها وبفضل تضحياتهم الجلية سادت ثقافة الجهاد.. حتى صار الشعب الفلسطينى كله متحفزًا للانقضاض على دولة الكيان الغاصب وتفكيكها.

ومازلنا نسمع عن دور الإخوان الجهادى فى دول أخرى، كالعراق وأفغانستان ضد من لا يرقبون فى المؤمنين إلاً ولا ذمة.

الجماعة | الإخوان أولى بالأقباط من أنفسهم(*)

يؤمن الإخوان المسلمون، كأصحاب عقيدة إسلامية صحيحة، بالمساواة بين البشر، واحترام عقائدهم، وحرياتهم، وخصوصياتهم، وهم يحاربون العنصرية بجميع أشكالها، ويعترفون بحقوق الإنسان، كاملة غير منقوصة، ويضعون أيديهم فى أيدى من ينادى بتحرير البشر من الظلم والاضطهاد(١)..

وموقف الإسلام من الآخر -وهو الموقف القائم على احترامه وإنصافه والتعاون معه لخدمة الإنسانية- هو موقف الإخوان نفسه، وهو ليس موقفًا انتقاليًا أو اختياريًا مستحسنًا، وإنما هو موقف فى أصل الدين، صادر عن الكتاب والسنة.

(*) يلعب وحيد وإخوانه العلمانيون والشيوعيون -دائمًا- بورقة الأقباط، زاعمين أنهم الحريصون عليهم، عكس الإخوان الذين يُضمرون لهم العداوة والبغضاء -وهذا كذب وادعاء يخالف الواقع. أثار وحيد هذه التهمة فى الحلقتين: الرابعة، والرابعة والعشرين.

(١) انظر بتوسع: الإخوان والأقباط.. من يطمئن من؟!، عامر شماخ، مكتبة وهبة، ٢٠٠٨م.

«والإخوان المسلمون يؤكدون -فى كل مناسبة- التزامهم بالنظر الإسلامى الرشيد، ويذكّرون أتباعهم والآخذين عنهم بأن يكونوا عناوين صدق لهذا المنهج، فلا يستكبرون على أحد، ولا يمنُّون على أحد، ولا يضيقون على أحد، بل أيديهم مبسوطة إلى الجميع بالخير والحب والصفاء، وأن يبدأوا الدنيا كلها بالسلام»(١).

وفى هذا المعنى يقول مؤسس الجماعة: «فنحن نعلم أن الإسلام عنى أدق العناية باحترام الرابطة الإنسانية العامة بين بنى الإنسان، فى مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: ١٣]، كما أنه جاء لخير الناس جميعًا ورحمة من الله للعالمين. ودين هذه مهمته أبعد الأديان عن تفريق القلوب وإيغار الصدور، وبهذا جاء القرآن مثبتًا لهذه الوحدة مشيدًا بها فى مثل قوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨]»(٢).

وموقف الإخوان المسلمين من أهل الكتاب عامة، هو موقف الإسلام منهم، فلا يُكرَه أحدٌ على ترك دينه، وأحقيتهم فى المساواة مع

(١) بيان صادر عن جماعة الإخوان المسلمين، فى أبريل ١٩٩٥م.

(٢) مجموعة الرسائل.

المسلمين فى الواجبات والحقوق وأمور المواطنة «لهم ما لنا وعليهم ما علينا» واحترام خصوصياتهم الدينية من زواج وطلاق وغيرها.

ويرى الإخوان أن حماية غير المسلمين، فى عقائدهم وعباداتهم، جزء من وظائف الدولة «فللدولة وظائف دينية أساسية، فهى مسئولة عن حماية وحراسة الدين، والدولة الإسلامية يكون عليها حماية غير المسلم فى عقيدته وعبادته ودور عبادته، وغيرها..»[1].

وموقف الإخوان من الأقباط[2] يتلخص فى:

١- أنهم جزء من نسيج المجتمع المصرى.

٢- أنهم شركاء الوطن والمصير.

٣- لهم مثل ما لنا، وعليهم مثل ما علينا.

٤- حرية الاعتقاد والعبادة محترمة للجميع، والتعاون فى كل ما يخدم الوطن ويحقق الخير لكل المواطنين أمرٌ لازمٌ.

٥- تأكيد الوحدة الوطنية، وعدم السماح لأى نشاط يؤدى إلى إثارة مشاعر التفرقة الدينية أو التعصب الطائفى.

---

(١) من برنامج مشروع حزب الإخوان الذى طُرح عام ٢٠٠٧م.

(٢) من مبادرة الإصلاح التى تقدم بها الإخوان عام ٢٠٠٤م.

٦- الحرص على روح الأخوة المصرية التى أظلت أبناء مصر على مر القرون، مسلمين وأقباطًا، وإشاعة الأصول الداعية إلى المحبة والمودة بينهم؛ لتمكين الأمة من العمل المتكامل لبناء مستقبلها، وحماية لها من ويلات التعصب الطائفى المقيت، وعدم السماح لأى محاولات تؤدى لإثارة مشاعر التفرقة أو التعصب الطائفى بين المصريين.

- **المواطنة.. أصل إسلامى**

ويؤمن الإخوان بمبدأ المساواة وتكافؤ الفرص بين جميع المواطنين، ويعتبرونه ضروريًا لتحقيق العدالة وتعميق الانتماء، وذلك عن طريق:

«عدم التمييز بين المواطنين فى الحقوق والواجبات على أساس الدين أو الجنس أو اللون، كحق التملك والتنقل والتعلم والعمل وممارسة العمل السياسى والتعبير عن الرأى -فى ظل الحفاظ على القيم الأساسية للمجتمع- والترشح للمجالس المحلية والنيابية وتولى جميع الوظائف القضائية والتنفيذية، فى كل المجالات وعلى جميع المستويات»[1].

ويؤمنون بمبدأ المواطنة، ويعتبرونه ضمن المنهج الإسلامى لإصلاح الدولة، فـ«مصر دولة لكل المواطنين الذين يتمتعون بجنسيتها، وجميع المواطنين يتمتعون بحقوق وواجبات متساوية، يكفلها القانون وفق مبدأ

(١) من برنامج مشروع حزب الإخوان، مرجع سابق.

المساواة وتكافؤ الفرص. وتعتبر المواطنة هى القاعدة التى تنطلق عنها المطالبة بالديمقراطية، ليس بغرض تداول السلطة فحسب، بل بغرض ممارسة الديمقراطية، المتجاهل لمبدأ الأغلبية. ويجب أن تعزز النصوص القانونية معاملة كل المواطنين على قدم المساواة دون تمييز، وعلى الدولة والمجتمع العمل على ضمان قيام الأوضاع الاجتماعية اللازمة لتحقيق الإنصاف، وأن يمكَّن الأفراد من المشاركة بفاعلية فى اتخاذ القرارات التى تؤثر فى حياتهم، وخاصة فى القرارات السياسية»[1].

- **حماة الوحدة الوطنية**

اتسم موقف جماعة الإخوان -منذ نشأتها وحتى اليوم- تجاه الأقباط، بالتسامح، والاعتدال، وهم يدركون أن المستفيد من الفتنة الطائفية هم أعداء الأمة الذين يسعون إلى إفساد الوحدة الوطنية والتفريق بين أبناء الوطن الواحد.

كما يدرك الإخوان أن هناك نقاط تلاقٍ مع الأقباط، على رأسها: الوقوف فى وجه التيارات الإلحادية المعادية للأديان، وكذلك تيارات الإباحية والانحلال الخلقى، والوقوف فى وجه الصهيونية البغيضة، والانطلاق لصالح الإنسانية والوطن.

(١) المرجع السابق.

ويعتقد الإخوان أن انتشار الفتن الطائفية ليس أثرًا من آثار التدين، وإنما هو -على الحقيقة- أثر من آثار غياب الفهم الصحيح لروح الأديان وأهدافها الكبرى، ومظهر من المظاهر العامة للتخلف الفكرى والسلوكى، كما أنها ورقة يلعب بها الصهاينة على المستوى الدولى، والعلمانيون والملحدون على المستوى المحلى.

والأقباط -فى نظر الإخوان-: «إخواننا فى الوطن، كما أن المسلمين -حيثما كانوا- هم إخواننا فى الدين، فالأخوة ليست دينية فقط كالتى بين أهل الإيمان بعضهم وبعض، وهى التى جاء فيها قول الله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] بل هناك أخوة قومية، وأخوة وطنية، وأخوة بشرية.. وإذ أثبت القرآن هذه الأخوة القومية بين الرسل وأقوامهم، فلا حرج أن نثبت أخوة وطنية بين المسلمين ومواطنيهم من الأقباط فى مصر؛ أو أمثالهم فى البلاد الإسلامية. ولا يكون ذلك سببًا للطعن فى عقيدة الإخوان، وأنهم لا يعرفون الولاء والبراء فى عقيدتهم، بل يكون هذا من حسن فقه الإخوان، وفهمهم عن الله ورسوله ما لا يفهم الآخرون»[1].

ولقد تُرجمت أفكار الإخوان ومبادئهم، إلى واقع عملى، منذ خروج الجماعة إلى الوجود.. فهم أحرص الناس على دماء

(١) الإخوان المسلمون (٧٠) عامًا فى الدعوة التربية والجهاد، مرجع سابق.

الأقباط، وأموالهم، وأعراضهم، ودور عبادتهم، متعبدين بذلك إلى الله..

وهم بذلك لا ينجرُّون إلى فتنة، ولا يقعون فيما يقع فيه عوام الناس من تعصب وطائفية، بل يعون أن إنصاف الأقباط والإحسان إليهم من الدين، وأن الإساءة إليهم وظلمهم مجافاة للسنة واستدعاء غضب الله ورسوله على من يفعل ذلك.

وما من ظلم وقع على الأقباط إلا استنكره الإخوان، وطالبوا بعقاب من قام به، حتى قال البعض (إن الإخوان أولى بالأقباط من أنفسهم)، لدفاعهم عن حقوقهم، ورحمتهم بهم وشفقتهم عليهم.

لقد أصدر الإخوان، العديد من البيانات التى تدين الاعتداء على ممتلكات الأقباط، وعلى أفرادهم، ويصرح العديد من قادة الجماعة بأقوال تصب فى صالح الأقباط وتدعو إلى حل مشكلاتهم المختلفة وتلبية مطالبهم.

●●●

الجماعة | نظرة الإخوان المسلمين السامية للمرأة(*)

تنطلق رؤية[1] الإخوان المسلمين للمرأة، من رؤية الإسلام لها، فهى الأم التى ورد فى شأنها الأثر الكريم أن الجنة تحت أقدامها، والتى قدمها الله تعالى على كل من عداها فى حق صحبة الأبناء لها.. وهى الابنة التى تولد كما يولد أخوها الذكر من الصلب ذاته ومن الرحم نفسها.. وهى الزوجة التى هى سكن للرجل والرجل سكن لها[2].

وتقوم تلك الرؤية.. «على المساواة الكاملة فى الكرامة الإنسانية بين الرجل والمرأة، وأهمية العمل على الحفاظ على التمايز بينهما فى الأدوار الاجتماعية والإنسانية، دون أن يؤثر ذلك على مكانة كل منهما. ودور المرأة فى الأسرة قائم على أساس أنها المسئول الأول عن

(*) فى الحلقة الثالثة عشرة من المسلسل، يعرض وحيد للمشاهد استهانة الإخوان بالمرأة ومعاملتها -من جانبهم- كخادمة، وهذا إفك وكذب، فللإخوان رؤيتهم السامية للمرأة التى تتمتع بحظ وافر من التقدير والاحترام داخل جماعتها.

(١) راجع بتوسع: الإخوان والمرأة.. بين هموم الواقع وإشكاليات الخصوم، عامر شماخ، دار النشر للجامعات، ٢٠١٠م.

(٢) انظر: وثيقة الإخوان المسلمين حول المرأة، الصادرة عام ١٩٩٤م.

تربية الجيل الجديد، والأسرة فى حضارتنا المصرية والعربية والإسلامية هى الوحدة الأساسية للمجتمع»[1].

ويرى الإخوان أن العبرة بالإيمان وتقوى الله وحسن الخلق، فيما يخص الفرق بين المرأة والرجل، أما الفوارق الطبيعية فهى التى تنتج عن المهمة التى يقوم بها كل منهما فى الأسرة والمجتمع.. ويردون على مزاعم بعض الأديان والمذاهب الفاسدة التى افترت على الله الكذب وادعت أن حواء عليها السلام هى التى أغوت آدم عليه السلام بالأكل من الشجرة التى حرمها الله عليهما فى الجنة -بأن نصوص القرآن والثابت من صحيح السنة المطهرة تسد كل منابع هذا الادعاء الزائف وتلك الخرافات الباطلة.

ويهتم الإخوان المسلمون بالمرأة عمومًا؛ لإدراكهم خطورة مهمتها فى إعداد النشء وإقامة البيت المسلم؛ وكذلك لأهمية دورها الإصلاحى فى المجتمع وفى التواصل مع الأمة الإسلامية، وهم لذلك يرفضون تعرضها لأى عنف أو اضطهاد، ويساعدونها على تحقيق دورها المهم المنوط بها، ويعدونها لمهام المستقبل، ولأداء دورها على أكمل وجه.

(١) القراءة الأولى لبرنامج حزب الإخوان التى تم توزيعها على بعض الشخصيات العامة فى عام ٢٠٠٧م.

ويرى الإخوان أن المرأة متساوية مع الرجل تمامًا فى مجال الدعوة والإرشاد، إن لم تفقه أحيانًا.. ويقولون فى ذلك: «إن الدين لم ينزل للرجال فقط، وإنما نزل للرجال والنساء، وأن التكليف للرجال والنساء على السواء.. ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١]، ودعوة النبى ﷺ كانت موجهة للنوعين. لذا لم تغفل الجماعة هذا الأمر، وانطلقت فى إعداد المرأة لتحمل تكاليف الدعوة ومسئولياتها، بإعداد البيت المسلم فى تفكيره وعقيدته، وفى خلقه وعاطفته، وفى عمله وتصرفه.

المرأة إذًا فى الإخوان، هى شريكة الرجل، لها رسالتها التى ربما فاقت رسالته، فهى التى ترضع أبناءها لبان الدعوة، وهى التى تحمل البيت عندما يغيب الرجل.. ولها دورها التربوى فى إعفاف زوجها، كما لها دورها الدعوى الفاعل فى محيط المجتمع.. «هى إذًا ليست جارية فى البيت وليست كمًا مهملا وطاقة معطلة كما يحاول أعداء الإسلام أن يصوروها. إنها إنسان سوى له رسالة وقد شرفت بحمل عقيدة يوم أن حملتها مع الرجل»[1].

(١) انظر: الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية، محمد عبد الحكيم خيال ومحمود الجوهرى، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، ١٩٩٣م.

• الإخوان والحقوق السياسية للمرأة

يرى الإخوان أن المرأة مكلفة كالرجل تمامًا بالمشاركة فى اختيار أولى الحل والعقد، مستدلين بقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١]، ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، بل يعتبرون هذه المشاركة واجبة وضرورية الآن أكثر مما مضى؛ «لأن إحجام المرأة المسلمة عن المشاركة فى الانتخابات يضعف من فرصة فوز المرشحين الإسلاميين»(١).

ولا يرون ما يمنع من توليها مهام عضوية المجالس النيابية وما يماثلها؛ إذ ليس فى نصوص الشريعة -حسب قولهم- ما يمنع ذلك، وقد ردوا فى الوثيقة التى أصدروها حول حقوق المرأة المسلمة عام ١٩٩٤ على الآراء التى تعارض ترشيح المرأة للمجالس النيابية والوظائف العامة -وأكدوا فيها تولى المرأة جميع الوظائف العامة بما فيها القضاء، باستثناء الإمامة الكبرى، وهى من الولاية العامة المتفق على عدم جواز أن تليها المرأة، والتى يقاس عليها رئاسة الدولة.

(١) وثيقة الإخوان المسلمين حول المرأة، مرجع سابق.

ويستند خيار الإخوان المسلمين الرافض لتولى المرأة رئاسة الدولة، إلى الواقع الاجتماعى الذى يمنع أن تكون المرأة رئيسة دولة.. «لكن أمامها الوزارات والمؤسسات، فهناك واقع اجتماعى موجود فى مصر يرفض ذلك، ونحن نتحدث عن مصر، ولا نتحدث عن بريطانيا أو الولايات المتحدة، بل إن ما يحدث فى الإسكندرية قد يكون غير مقبول فى الصعيد»(١).

إضافة إلى أن «طاقة المرأة -غالبًا- لا تحتمل الصراع الذى تقتضيه تلك المسئولية الجسيمة، وإنما قلنا «غالبًا» لأنه قد يوجد من النساء من يكن أقدر من بعض الرجال، مثل ملكة سبأ التى قص الله علينا قصتها فى القرآن، ولكن الأحكام لا تُبنى على النادر بل على الأعم الأغلب، ولهذا قال علماؤنا: النادر لا حكم له»(٢).

• أخوات على أعتاب البرلمان

رشح الإخوان أول سيدة منهم للانتخابات التشريعية عام ٢٠٠٠م (الأخت جيهان الحلفاوى)، وقد شهدت دائرتها بالإسكندرية استعدادات أمنية غير عادية، وتم قبيل إجراء الانتخابات القبض على زوجها (د. إبراهيم الزعفرانى)، وعلى العشرات من إخوان الدائرة،

(١) تصريح من د. محمد حبيب نائب المرشد العام للإخوان المسلمين لـ «موقع المسلم الإلكترونى».

(٢) د. يوسف القرضاوى «موقع القرضاوى الإلكترونى».

وتم اعتقال مندوبيها فى اللجان، ثم تم تزوير الانتخابات بشكل فج، ورغم ذلك ترجح فوزها، فأسرعوا بوقف الانتخابات، التى أجريت بعد عامين (٢٠٠٢م)، بعد تحويل الدائرة إلى ثكنة عسكرية، مُنع فيها الناخبون من الوصول إلى صناديق الاقتراع، بل مُنع التجول فى هذا اليوم داخل أحياء الدائرة، وتم تزوير الانتخابات وإعلان فوز مرشح الحزب.

وفى عام ٢٠٠٥م، رشح الإخوان سيدة أخرى (الأخت الدكتورة مكارم الديرى)، وقد وقع فى دائرتها (مدينة نصر) ما وقع فى دائرة الأخت جيهان، من تزوير فاضح وبلطجة وإرهاب، حتى أعلن الحزب الحاكم فوز نائبه بالدائرة على غير الواقع والحقيقة.

وقد كان للأخوات دور مهم فى إيصال ٨٨ من مرشحى الجماعة إلى قبة البرلمان فى هذا العام (٢٠٠٥)، حيث اعتمد الإخوان فى تلك الانتخابات على أصوات النساء التى تمثل حوالى ٤٠٪ من إجمالى القيمة التصويتية للناخبين، وقد حشد الإخوان فى هذه الانتخابات أخوات على درجة كبيرة من التدريب والمهارة، جعلتهن يسحبن البساط من تحت أرجل الحزب الوطنى الذى اعتمدت نساؤه على البلطجة والرشوة، قبل وأثناء العملية الانتخابية.

●●●

الجماعة والإخوان والقضية الفلسطينية(*)

لفلسطين فى نفوس المسلمين عامة، وفى نفوس الإخوان بصفة خاصة منزلة كبيرة؛ لما حباها الله من كونها مسرى رسول الله ﷺ، وبها بيت المقدس أولى القبلتين وثالث الحرمين(١). . وفلسطين تحتل من نفوس الإخوان موضعًا روحيًا قدسيًا فوق المعنى الوطنى المجرد، إذ تهب علينا منها نسمات بيت المقدس المباركة، وبركات النبيين والصديقين ومهد السيد المسيح عليه السلام، وفى كل ذلك ما ينعش النفوس ويغذى الأرواح(٢).

ولقد وعت الجماعة منذ نشأتها ما يحاك لفلسطين من مؤامرات لسلخها عن طابعها الإسلامى، وتقديمها وطنًا قوميًا للصهيونية العالمية يكون سرطانًا دائمًا فى جسد الأمة، يعمل على تفتيته وإذلاله، وليحقق حلم اليهودية بدولتهم المزعومة. . من النيل إلى الفرات» .

(*) ادّعى وحيد فى الحلقتين: ٢٥، ٢٦- أن القضية الفلسطينية غائبة عن فكر الإمام البنا وجماعته.

(١) انظر بالتفصيل: تصور الإخوان المسلمين للقضية الفلسطينية، د. عبد الفتاح محمد العويسى، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٩٨٩م.

(٢) مجلة «الإخوان المسلمون»، ١ مايو ١٩٤٨م.

فهـا هو حسن البنا يبعث برسائل إلـى السفير البـريطانى فى القاهرة يحذره من المساس بأرض الإسراء مؤكدًا أن «الإخـوان المسلمون سيبذلون أرواحهم وأموالهم فى سبيل بقاء كل شبر من فلسطين إسلاميًا عربيًا حتى يرث الله الأرض ومن عليها». ويبعث برسالة إلى الحكومة المصرية بعد أن أفرجت عنه السلطات بسـبب نشره وتوزيعه كتـاب «النار والدمار فى فلسطين» يعيب عليهم قعودهم وتخاذلهم عن نصرة إخوانهم فى فلسطين فيقول: «يا أيها الجالسون على كـراسى الحكم، أما آن لكم أن تفهموا بعد أن من استـعز بغيـر الله ذل، وأن الناس من خوف الذل فى الذل، ومن خوف الفقـر فى الفقر، وأن من حرص على المـوت وهب الله له الحياة، والله يقول: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٣٨) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا (١٣٩) وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٨-١٤٠].

ولم يدخر الإخـوان المسلمون جهـدًا فى التنبيه إلى أهمـية وخطورة القضية الفلسطينيـة، فجاهدوا بالكلمة المسموعة والمقـروءة فى تجمعاتهم ومؤتمراتهم وفى وسائل إعـلامهم، حتى تبنت الأمة الإسلاميـة القضية الفلسطينية بعد أن طغت الإقليمية والقومية إلى حد بعيد على فكر كثير

من قادة وزعماء الشعوب الإسلامية الذين حادوا عن الفكر الإسلامى وتأثروا بالفكر الغربى والعلمانى.

ولقد أحيا الإخوان فريضة الجهاد، من أجل نصرة فلسطين، بعد أن ظن أعداء الإسلام أنها قد خبت، فشاركوا فى معارك عام ١٩٤٨م، وقد أبلوا فيها بلاءً حسنًا، إيمانًا منهم بأن الجهاد فى سبيل الله هو سبيلهم، وأن الموت فى سبيل الله أسمى أمانيهم.

ويعتقد الإخوان المسلمون اعتقادًا جازمًا بأن فلسطين جزء من العقيدة الإسلامية، وأن أرضها وقف إسلامى على جميع أجيال المسلمين فى ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم إلى يوم القيامة، لا يجوز لأحد كائنًا من كان أن يفرط أو يتنازل ولو عن جزء صغير جدًا منها، ولذلك فهى ليست ملكًا للفلسطينيين أو العرب فحسب، بل هى ملك للمسلمين جميعًا[١] وعليه تكون فلسطين بالنسبة للإخوان المسلمين «السوق الذى نربح فيه الصفقة مع الله» ونفوز بإحدى الحسنيين «النصر أو الشهادة»[٢]. لذلك أفتى الشيخ سيد سابق أحد فقهاء المسلمين أثناء حرب فلسطين عام ١٩٤٨م، بتأجيل أداء فريضة الحج وتقديم المال للجهاد فى فلسطين»[٣].

(١) مجلة «الإخوان المسلمون»، ٢٥ أكتوبر ١٩٤٧م.

(٢) مجلة «النذير»، ٢٧ سبتمبر ١٩٣٧م.

(٣) مجلة «الإخوان المسلمون»، ٢٦ يونيو ١٩٤٨م.

ويعتقد الإخوان أن مصر أقرب البلاد خطرًا من الغزو الصهيونى، وهى على مرمى من سهام اليهود؛ وذلك لما لليهود من ذكريات فيها؛ ولأن سيناء غنية بالثروات الطبيعية والمواد الخام، ما يمثل حافزًا للصهاينة للاستيلاء عليها.

وكان الإخوان أول من تنبأ بخطر ذلك الكيان البغيض، على المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، حيث سيؤدى إلى خلق مشكلات لا تنتهى، ناهيك عن المشكلات الداخلية فى كل بلد عربى من قِبل الجاليات اليهودية التى تعيش فيه والتى تشكل «طابورًا صهيونيًا خامسًا»، كما نظر الإخوان إلى أن إقامة هذه الدولة سينتج عنها أيضًا خطر اجتماعى يهدد البلاد العربية بالانحلال؛ لأن الصهونية ستعمل على نشر الإلحاد والإباحية. وسينتج عنها خطر روحى يهدد العالم الإسلامى من ناحية العقيدة والإيمان، حيث إن هنالك خطرًا يستهدف الأماكن المقدسة فى فلسطين التى هى موضع الإسراء والمعراج، ويتمثل هذا الخطر فى تصور الإخوان المسلمين بشكل واضح «بحلم اليهود» بهدم المسجد الأقصى وبناء هيكل سليمان مكانه»[1].

●●●

(١) مجلة «النذير»، سبتمبر ١٩٣٨م.